d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

الخدمات الاجتماعية
لطلاب العلوم في الإسلام

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

اسم الكتاب: الخدمات الاجتماعية لطلاب العلوم في الإسلام

تأليف: سعيد الديوه چي

الطبعة الأولى: ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ

© جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-614-424-035-9

الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

الخدمات الاجتماعية

لطلاب العلوم في الإسلام

تأليف

سعيد الديوه جي

الدار العربية للموسوعات

بيروت

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عليه الصلاة والسلام :

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»

اهتم المسلمون في نشر العلم بين كافة طبقات الشعب، وأسسوا لهذا المعاهد العلمية المختلفة، وأنفقوا على من يعلم ويتعلم فيها وذلك لما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من الحث على تعلم العلم وتعليمه.

فأول ما أنزل من القرآن هو الأمر بالقراءة التي هي أساس التعلم والتعليم. ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وأن رسول الله (ﷺ) نصب نفسه معلماً، لكي يقتدى به المسلمون في نشر العلوم والمعارف بين الناس، فقد جاء أنه ﷺ «مر في مجلسين، أحدهما يدعون الله، ويرغبون إليه، فإن شاء الله أعطاهم، وإن شاء الله منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلماً، ثم أقبل فجلس معهم» كما جعل عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ومن واجب العلماء أن يقوموا بنشر العلم بين سائر الطبقات، وأن يشوقوا إليه، ويدعو للأخذ عنهم. وهذا أفضل أنواع الجهاد «جاء رجل إلى ابن عباس، فسأله عن الجهاد، فقال له: ألا

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

أدلك على خير من الجهاد؟ تبنى مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه في الدين» وأي جهاد أفضل من جهاد الجهل؟ فأفضل عبادة هي طلب العلم «لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم، خير لك من أن تصلي مائة ركعة؟ وأن تعلم العلم خشية: وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عن جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو منار سبيل الجنة...».

كل هذا جعل المسلمين يتسابقون في نشر العلم، فطلبوه من المهد إلى اللحد، ويسروا أمره في المعاهد المختلفة التي أسسوها لهذه الغاية.

١

فرض العلم

وأول المؤسسات هو (الكتاب) وأول من بنى الكتاتيب هو «عمر ابن الخطاب» (١٣-٢٣هـ) (٦٢٤-٦٤٣م) وجمع أولاد المسلمين، وعين لهم معلمين يعلمونهم، وفرض للمعلمين والمتعلمين لكي يتفرغوا لدروسهم كما قرض للقراء والقضاة: وفرض للناس على تعلم القرآن، فكان الفاروق أول من فرض للمعلمين والطلاب[١].

وأن بعض الخلفاء من أهتم بتعليم البدو، فقد أرسل عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) (٧١٧-٧١٩م) المعلمين إلى البدو، يعلمونهم القراءة وأمور دينهم، وفرض لهم على هذا[٢].

(١) الأموال لابن سلام (ص: ٢٦١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢: ٨١).

(٢) الأموال لابن سلام (ص: ٢٦٢).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وفي العصر العباسي تنوعت الكتاتيب فكان منها كتاتيب خاصة بتعليم اليتامى وأولاد المعوزين الذين لا يجدون ما ينفقون على أولادهم، فبنى الخلفاء والأمراء والمياسير الكتاتيب لهم، وعينوا لها المعلمين، وجعلوها عامة لكل راغب، وكانت تسمى «مكاتب السبيل» وأن بعضهم كان يفتح كتاباً في داره، يتعلم بها أبناؤه وأبناء المعوزين.

وأول كتاب للأيتام وقفنا عليه، هو الذي بناه «يحيى البرمكي» المتوفى[١] (سنة ١٩٠هـ - ٨٠٥م) ثم كثرت هذه المكاتب في المدن، حتى لم تخل مدينة منها.

وكان بعضهم يبنى كتاباً، ويوقف لها أوقافاً كثيرة، تصرف على التلاميذ الذين يتعلمون بها فبنى شمس الدين بن نظام الملك مكتبا للأيتام، وأوقف لها وقوفا مستمرة الجدوى، والكسوة والطعام وتعليم الآداب وحفظ القرآن، ومعرفة الحلال والحرام، فالطلاب مكفولون بها إلى أن يبلغوا الحلم[٢].

ونجد هذه الكتاتيب تكثر في القرن الخامس الهجري وما بعده، حتى كان في بعض المدن الكبيرة عشرات منها. وكثيراً ما كانت تبنى كتاتيب السبيل بجانب المدارس، حتى إذا أتم الطالب تحصيله في المكتب، انتقل إلى المدرسة، وله الجراية المستمرة، ومن ذلك: أن مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى (سنة ٥٩٥هـ - ١١٩٨م) بني مكتباً للأيتام في الموصل، بجانب مدرسته التي أنشأها على نهر

(١) الوزراء والكتاب - للجهشاري (ص: ١٣٤).

(٢) تواريخ آل سلجوق (ص: ١٣٧).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

دجلة[١] وبنى نور الدين الشهيد في كثير من بلاده مكاتب للأيتام، وأجرى عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة[٢]. وبنى القاضي الفاضل (المتوفى ٥٩٦هـ-١١٩٩م) مكتباً للأيتام بجانب مدرسته الفاضلية[٣].

وبعد القرن الخامس الهجري كثرت كتاتيب الأيتام بجانب المدارس، في كثير من المدن، كما كان في القاهرة والشام وبغداد وغيرها.

ولم تكن هذه الكتاتيب صغيرة، فان بعضها كان يتعلم فيها مئات من الطلاب الذين فقدوا آبائهم، ولكنهم لم يعدموا من يتولى أمرهم، ويتعهد تربيتهم وتعليمهم. ذكر السيوطي عند كلامه عن مدرسة السلطان حسن أنه (سنة ٧٥٧هـ-١٣٥٦م) «سقطت المنارة التي على باب مدرسة السلطان حسن في القاهرة، فهلك نحو ثلثمائة نفس من الأيتام الذين كانوا رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم»[٤] فإذا كان من هلك تحت المنارة في مكتب واحد نحو ثلثمائة طفل - فكم كان في هذا المكتب من الطلاب؟؟ هذا مكتب واحد من المكاتب الكثيرة التي كانت منتشرة في إحدى حواضر الإسلام - وهي القاهرة - وهو يدلنا عما قدمه المسلمون في سبيل مكافحة الأمية وتعليم أبناء الشعب.

وعلى هذا فان نسبة الأميين كانت قليلة جداً، وفي بعض الأقطار كادت أن تكون معدومة. نقل البتنوني عند كلامه عن الأندلس: وكان

(١) ابن خلكان (٢: ٢٧).
(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (١: ٢٨٤).
(٣) خطط المقريزي (٤: ١٩٧).
(٤) حسن المحاضرة (٢: ١٩٣).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

عندهم مدارس لتعليم الفقراء، وكان في قرطبة وحدها - مدة الحكم بن الناصر - عشرات المدارس لتعليم الأيتام حتى قال أحد مؤرخي الفرنجة «إن التعليم يكاد يكون عاما بين جميع طبقات عرب الأندلس، في حين أن الطبقة العليا بأوربا، كانت من الأمية بمكان»[١].

ورأى ابن بطوطة في مدينة «هنور» إحدى مدن الهند ثلاثة عشر مكتباً لتعليم البنات، وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد[٢].

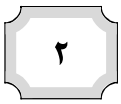

الدراسة العالية

فكان لها معاهد مختلفة، يجد فيها الطالب من التسهيلات ما يساعده على طلب العلم. فكانت حلقات الفقه والحديث والتفسير والأدب والسير والمغازي والنحو والفلسفة والطب منتشرة في المساجد. يتصدر الحلقة شيخ، يلتف حوله من يريد الأخذ عنه، وهي عامة لكل راغب، وربما تعددت الحلقات في المسجد الواحد - ليلاً ونهاراً - وقد أحصى المقدسي حلقات العلم في المسجد الجامع بالقاهرة - وقت العشاء - فإذا هي مائة حلقة وعشر حلقات[٣] وكان بجامع عمرو بن العاص سنة ٧٤٩هـ بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه[٤].

(١) رحلة الأندلس (ص: ١١٣).
(٢) رحلة ابن بطوطة (٢: ١١٠).
(٣) الحضارة الإسلامية آدم متز (ص: ٢٥٨).
(٤) حسن المحاضرة (٢: ١٥٢).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وقلما كان يخلو مسجد أو جامع من حلقة علمية، حتى أن بعضهم كان يعلم في العراء، خارج المدينة، لكثرة من كان يأخذ عنه[١].

٣

دور الحكمة

وساهمت دور الحكمة بقسط وافر في تيسير نشر الثقافة العالية بين المسلمين - وهي أشبه ما تكون «بالاكاديميات» المعروفة في هذا العصر.

فكانت دور الحكمة مفتوحة للعلماء والمتعلمين، يشرف عليها أجل العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء، الذين هم على جانب كبير من العلم والثقافة يرتادها الطلاب - للأخذ عن علمائها وفلاسفتها - فيجدون فيها الكتب النادرة من طبية وفلسفية ورياضيات ومنطق وحكمة وعلوم وآداب، وهي بعدة لغات: العربية، والفارسية، واليونانية، والحبشية، والآرامية، والعبرية والهندية، وغيرها. والدار مفتوحة لمن شاء النسخ أو المطالعة أو الترجمة، أو الأخذ عن العلماء، وفيها لوازم الكتابة من أقلام ومحابر وورق، وما يحتاجه طالب العلم - كل هذا يقدم إليه بلا عوض[٢].

وكان في بعضها من التسهيلات ما تساعد كل أحد على المطالعة والنسخ والدرس. تقدم لهم الكتب، مع ما يحتاجونه من أدوات الكتابة ولوازمها وما يلزمهم من مسكن وطعام كما فعل آل المنجم. قال ياقوت: كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى

(١) تذكرة الحفاظ (١: ٣٥٩) تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي (٧: ٣٥٣).

(٢) بيت الحكمة (ص: ٦٠).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

المنجم: وهو قصر جليل، فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها، ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة في ذلك من مال يحيى بن علي[١].

وكانت دور الحكمة وخزائنها كثيرة في البلاد الإسلامية، فأسس العباسيون «بيت الحكمة» ببغداد، وأسس الأغالبة دار الحكمة في القيروان، وأسس آل عمار دار حكمة في طرابلس، وأسس الفاطميون دار الحكمة في القاهرة - وقد بسطنا القول عنها وعن خزائن الحكمة في كتابنا «بيت الحكمة».

٤

دور العلم

وكانت دور العلم لا تقل عن دور الحكمة بتقديم الخدمات للطلاب فهي مفتوحة لكل قاصد ويجد فيها ما يعينه على طلب العلم. وأول دار علم هي التي أسسها «جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي» في الموصل (٢٤٠-٣٢٣هـ) (٨٥٤-٩٣٤م) وجعل فيها كتباً من جميع العلوم، وقفاً على كل طالب للعلم، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها، وان كان معسراً، أعطاه ورقاً وورقاً تفتح كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره[٢].

(١) معجم الأدباء ياقوت (١٥: ١٥٧).

(٢) معجم الأدباء (٧: ١٩٣).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

ثم انتشرت هذه المؤسسات في كثير من البلاد، حتى كان في بغداد عدة دور للعلم: فأنشأ أبو نصر سابور بن اردشير (٣٣٦-٤١٦هـ) (٩٤٧-١٠٢٥م) ببغداد داراً للعلم وأوقف بها كتبا كثيرة لطلاب العلم، وكان فيها أجل العلماء، وبها محل للنسخ والمطالعة. وأنشأ أبو بكر عبيدالله بن علي المعروف بابن المارستانية (المتوفى سنة ٥٩٩هـ-١٢٠٢م) دار علم ببغداد وسهل فيها أمر المطالعة والدرس لمن يقصدها. وكان في بعض دور العلم، مساكن للطلاب، ولهم من الجرايات والأرزاق ما يكفيهم «فقد بنى» للقاضي أبو حبان (المتوفى سنة ٣٥٤هـ-٩٦٥م) في مدينة نيسابور داراً للعلم، وخزانة كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلماء، وأجرى لهم الأرزاق[١].

٥

المكتبات العامة

وكانت المكتبات العامة كثيرة في بلاد الإسلام وهي معدة لمن أراد القراءة والنسخ، أو المعارضة، فيجد فيها كل قاصد من التسهيلات التي تساعده على الاستفادة من الكتب والمصورات والخرائط والآلات العلمية المختلفة كما يحضى بعلماء وأدباء يشرفون على تدبير أمور المكتبة وهم خير معين له فيما يطلبه من العلوم والآداب.

على أن بعضهم كان يجري على من يقصدها من المحتاجين والمعوزين والغرباء.

(١) أنظر عن دور العلم في الأسلام بيت الحكمة (ص: ٨٣-٨٨).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

فأنشأ أبو علي بن سوار الكتاب (المتوفي سنة ٣٧٢هـ-٩٨٢م) وهو أحد رجال عضد الدولة البويهي - دار كتب في مدينة «رام هرمز» على شاطئ بحر فارس، كما بنى دار كتب أخرى بالبصرة، وجعل فيهما إجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ بهما.

وقلما كانت تخلو دار ملك أو أمير أو موسر من خزانة كتب، ونجد في المساجد والمدارس ودور الحديث والخوانك خزائن متعددة لمختلف الكتب أوقفها أهل الخير لمطالبة الناس ولم تزل مفتوحة لكل قاصد[١].

٦

تقدمة الخلفاء والأمراء والموسرون

نجد بجانب هذا ما كان يقدمه الخلفاء والأمراء والموسرون من الهبات الوافرة، والجرايات المختلفة للعلماء وطلابهم ومن ذلك:

كتب الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) (٧٨٦-٨٠٨م) إلى الأمصار كلها - إلى أمراء الأجناد - أما بعد: فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء، وليكن في ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر، من المعروفين به من علماء عصركم، وفضلاء دهركم، فاسمعوا قولهم، وأطيعوا أمرهم[٢].

وكان ابن الفرات (٢٤١-٣١٢هـ) (٨٥٥-٩٢٤م) وزير الخليفة المقتدر بالله العباسي يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم

(١) انظر خزائن الكتب في الخافقين لطرازي - خزائن الكتب في العراق لكوركيس عواد.
(٢) الأمامة والسياسة (٢: ١٧٢).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

والدين والفقراء، أكثرهم مائة دينار في الشهر، وأقلهم خمسة دراهم، وما بين ذلك[١].

ولما أراد الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ) (٨٩٢-٩٠١م) بناء قصره في الشماسية ببغداد، استزاد في الذرع، بعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فسئل عن ذلك. فذكر أنه يريده ليبني فيه دوراً ومساكن ومقاصير، يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجري عليهم الأرزاق السنية، ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره ليأخذ عنه[٢].

وذكر الحسن بن سفيان الشيباني المستوفي (سنة ٣٠٣هـ-٩١٥م) أن الأمير طولون - وإلي القاهرة - اشترى محلة بأسرها وأوقفها على المسجد الذي كان ينزل به الحسن، وعلى من ينزل به من الغرباء، وأهل الفضل، وطلبة العلم، نفقة لهم حتى لا تختل أمورهم ولا يصيبهم من الخلل[٣].

واشترى العزيز بالله الخليفة الفاطمي (سنة ٣٧٨هـ - ٩٨٨م) داراً بجانب الجامع الأزهر، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء، وكان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلمية بالمسجد في يوم الجمعة بعد الصلاة، حتى صلاة العصر[٤].

وكان الوزير يعقوب بن كلس - وزير العزيز بالله الفاطمي - يجمع في داره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل. . .

(١) ابن خلكان (١: ٣٧٢).

(٢) خطط المقريزي (٤: ١٩٢).

(٣) المنتظم لابن الجوزي (٦: ١٣٥).

(٤) الحضارة الإسلامية آدم متز (٢: ٢٩٤).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب حتى الطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها.. والشعر ينشدون المدائح. وكان ينصب في داره كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب ويجزل لهم العطاء[١].

وكان بعضهم يستقدم العلماء والمتخصصين وينفق عليهم وعلى من يأخذ عنهم. ذكر ياقوت عند كلامه عن دانية «كانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري. وأهلها أقر أهل الأندلس. لأن مجاهداً يستجلب القراء، ويفضل عليهم، وينفق عليهم الأموال، فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده»[٢].

وأن الحكم الأندلسي جمع في بلاطه العلماء الذين رغبهم بالقدوم من الشرق وأجزل لهم العطايا الكثيرة لكي ينشروا العلم في عاصمة ملكه قرطبة فكانت لهم حلقات في العلم والأدب لبعضهم كتب الأمالي التي هي من دواوين العرب المعدودة مثل أبي علي القالي وغيره.

٧

المرأة والكتاب

وساهمت المرأة المسلمة في هذه الخدمات بنشر العلم بين النساء والرجال، وتطوعت بالتعليم، وشاركت في بناء المدارس ودور الحديث والأربطة ومعاهد القرآن.

(١) ابن خلكان (٢: ٣٣٤).

(٢) معجم البلدان (٤: ٢٨).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

فكانت الشفاء بنت عبدالله العدوية - وهي من رهط عمر بن الخطاب كاتبة في الجاهلية، وبعد إسلامها أمرها عليه السلام أن تعلم «حفصة» أم المؤمنين الكتابة فعلمتها[١].

وكانت السيدات كريمة بنت المقداد، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد، يعلمن بنات المسلمين القراءة والكتابة في المدينة[٢].

وكان التعليم في الإسلام - من الحرف التي تمتهنها المرأة[٣] وصار لبعضهن مساجد خاصة بهن، يعلمن الفرائض والسنن والقرآن وينشرن الفضائل بين المسلمات، «فقد كانت مولاة أبي إمامة في مسجد حمص تعلم النساء القرآن والسنن والفرائض، وتفقهن في الدين»[٤].

ثم بعد هذا نجد كثيراً من الربط التي أوقفت على النساء فقط وفي الرباط يكون التعليم والتهذيب والتربية الدينية الخالصة.

ففي سنة ٥٢٦هـ بنت جهة مكنون رباطاً لتعليم العجائز والأرامل[٥] وفي سنة ٦٥٢هـ وقف الخليفة المستعصم «دار الشط» المجاورة «لدار الفلك وجعلت رباطاً للنساء، وجعلت شيخته الشريفة بنت المهتدي»[٦].

(١) الإصابة في أخبار الصحابة - ابن حجر (٨: ١٢١).
(٢) فتوح البلدان - للبلذري (ص: ٤٥٨).
(٣) طوق الحمامة - لأبن حزم (ص: ٤٧).
(٤) حلية الأولياء - لأبي نعيم (١٠: ١٢٩).
(٥) خطط المقريزي (٤: ٣٢٣).
(٦) الحوادث الجامعة لأبن الفوطي (ص: ٢٧٤).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وفي سنة ٦٨٤هـ بنت السيدة الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس رباطاً للشيخة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية وكانت تعلم النساء وتغظهن وتفقهن في الدين - ويذكر المقريزي أن الرباط المذكور لم يزل عامراً إلى وقته - القرن الثامن - وأن سكانه من النساء معروفات بالخير، وله دائماً شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقهن[١].

ورباط الحجازية في القاهرة بنته فوز جارية علي بن أحمد الجرجراي الوزير ووقفته على الشيخة الحجازية لتعلم النساء وترشدهن[٢].

وكان بقرافة مصر عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه أزواج النبي - ﷺ - يكون فيها العجائز والأرامل العابدات وكان لها الجرايات والفتوحات ولهن شيخة للوعظ والتعليم[٣].

٨

التأمين الاجتماعي

على أن هذه الخدمات وإن كانت كثيرة ومتنوعة وساعدت على نشر العلوم في البلاد الإسلامية فإننا لا يمكننا أن نسميها «بالتأمين الاجتماعي» كما يراد به في هذه الأيام.

وأن التأمين الاجتماعي - بالمعنى الحقيقي - كان أول أمره في القرن الخامس الهجري، وذلك بعد تأسيس المدارس، وانتشارها في

(١)(٢)خطط المقريزي (٤: ٢٩٤، ٣٢٨).

(٣) خطط المقريزي (٤: ٣٣٣).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

البلاد الإسلامية. فقد كان للمدارس من الوقوف المستمرة ما تكفل للطالب تأمين مسكنه وطعامه وكسوته وما يحتاجه من كتب ولوازم. ففي المدرسة غرف لمبيت الطلاب، ولهم جرايات مستمرة من أوقاف المدرسة التي تكفل لهم حاجاتهم مدة الدراسة.

وأول من كان له الفضل في هذا التنظيم الدقيق هو الوزير نظام الملك (٤٠٨-٤٨٥هـ) (١٠١٧-١٠٩٢م) فإنه بنى المدارس في كثير من البلاد الإسلامية[١]، وأوقف لكل مدرسة ما يلزم لإدامة عمارتها ولأثاثها وما يحتاجه المدرسون والطلاب من المسكن والمكتب والطعام والجرايات الوافرة التي تساعدهم على التفرغ إلى أعمالهم.

عرفت هذه المدارس بالمدارس النظامية، وأول مدرسة بناها هي التي كانت في بغداد وتم بناؤها (سنة ٤٥٩هـ-١٠٦٦م) ثم بنى المدارس في البلاد «ولم يخل بلد منها حتى جزيرة ابن عمر التي هي بزاوية من الأرض لا يؤتي لها بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة»[٢].

وبعد هذا أخذ الخلفاء والملوك وأهل الإحسان يتسابقون في بناء معاهد العلم المختلفة من: مدارس، ودور حديث، ودور قرآن وزوايا (خوانك). وكانوا يوقفون لكل معهد ما يكفي لصيانته وإدامته، والنفقة التامة على طلاب العلم والمدرسين، فكثرت هذه المؤسسات العلمية في سائر بلاد الإسلام حتى صار في بعضها ما يعد بالعشرات.

على أن هذه الأوقاف المختلفة - وإن كانت صادرة عن أشخاص أحبوا نشر العلوم والمعارف - فقد صارت من الأركان التي لا يمكن

(١) ابن خلكان (٢: ١٤٣، ١٤٤) طبقات الشافية (٣: ١٣٧، ١٤٠).

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين (١: ٢٥).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

أن تستغني عنها الدولة الإسلامية، فما أوقفه ملك أو سلطان أو أمير أو تاجر أو محسن فإنه يبقى وقفاً مهما تبدلت الأوضاع السياسية للبلد، فالمعهد باق على حاله، ويصرف له مما أوقف عليه على الوجه الذي شرط الواقف، لا يغير ولا يبدل - فشرط الواقف كنص الشارع - لذا فإن المدارس وما أوقف لها كانت مصونة قلما يجرأ احد عليها، أو التلاعب بأوقافها.

وإذا نظرنا إلى التنظيمات التي كانت عليها المدرسة الإسلامية فإننا نراها لا تقل عما هي عليه الجامعات في هذه الأيام. وتمتاز المدرسة الإسلامية بان كل من يدخلها ويتخرج منها فإنه غير مكلف أن يصرف على نفسه، فالمدرسة مفتوحة للغني والفقير، وللغريب وابن البلد - الكل سواء - لهم حق الدرس، وحق التمتع بالجرايات التي شرطها الواقف ون تميز.

وسنعرض لما كان في بعض البلاد الإسلامية ليقف القارئ الكريم على مدى اهتمام المسلمين بنشر العلوم والمعارف وحرصهم على تثقيف كافة طبقات الشعب.

٩

الخدمات الاجتماعية في مصر

أما في مصر فقد حدثنا ابن جبير عما وجده (سنة ٥٧٨هـ-١١٨٢م) من الخدمات الاجتماعية التي كانت تقدم لطلاب العلم في الإسكندرية، وهي مما قام بها صلاح الدين الأيوبي فقال «ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه، المدارس

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد، يفدون من الأقطار النائية فيلقي كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه، ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه، وإجراء يقيم به جمع أحواله، واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء، وقد رتب أيضا فيه أقوام يرسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة وينهون إلى الأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم»[١].

هذا ما كان يقدمه لطلاب العلم أحد ملوك الإسلام، في مدينة واحدة من مدن ملكه الواسع.

أما في القاهرة فقد بنى فيها صلاح الدين أيضاً عدة مدارس لكافة المذاهب الإسلامية وأقف لها أوقافاً جليلة، كما بنى دور الحديث فيها[٢].

ثم أخذ الملوك والأمراء وأهل البر والإحسان يتسابقون في إنشاء المعاهد العلمية المختلفة فيها حتى قال عنها ابن بطوطة انه «لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها»[٣]، كما كانت جوامعها عبارة عن كليات يدرس فيها مختلف العلوم. وهي لا تقل عن أكبر المدارس بشيوخها وطلابها وجرايتها. بل أن بعضها كان يفوق المدارس الكبيرة في

(١) رحلة ابن جبير (ص: ٩).
(٢) حسن المحاضرة للسيوطي (٢: ١٥٦).
(٣) رحلة ابن بطوطة (١: ٢٠).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

الحركة العلمية وفي أوقافه الجسيمة التي تدر عليه خيرات كثيرة تنفق على أهل العلم.

فالجامع الأزهر - وهو أحد جوامعها - كانت أوقافه تزداد - على مر السنين - بما أوقفه له أهل الإحسان ومحبو العلم وكثرت به حلقات العلم والحديث واللغة والفقه والقرآن وما زالت في توسع حتى صار عدد طلابه - في القرن الثامن الهجري - (٧٥٠) طالباً من مختلف الأجناس. وتقرر فيه نظام الأروقة، فلكل طائفة رواق يعرف بهم، ولكل رواق شيخ أو شيوخ يؤخذ عنهم، وعلى هذا فقد كان الجامع عامراً في حركته العلمية التي لم تنقطع منه منذ القرن الرابع الهجري، وذلك بفضل الأوقاف الكثيرة التي أوقفت على هذا الجامع الكبير، وعلى من يعلم ويتعلم فيه، فكل طالب له جراية ما يكفيه ويسد كافة حوائجه، إلى أن يتخرج من هذا المعهد الجليل[١].

ويحدثنا المقريزي أنه فضلاً عن هذا الإجراء الواسع على الطلاب فإن أرباب الأموال كانوا يقصدون من في الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس إعانة للمجاورين وتحمل اليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات وغير ذلك[٢].

وما زال الأزهر في تقدم مطرد حتى صار في العصر الحاضر من معاهد العلم المعدودة في العالم، فتنوعت مناهجه، وزادت فروعه، وتضاعف عدد طلابه حتى بلغوا عشرات الألوف - كل هذا بفضل أوقافه الجليلة التي جاد بها أهل البر والإحسان فآثروا بها أهل العلم، تقربا إلى الله وخدمة لعباده.

---

(١)(٢)خطط المقريزي (٤: ٤١، ٤٩-٥٥) حسن المحاضرة (٢: ١٥٤).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وكذا جامع ابن طولون، فقد كان من المراكز العلمية المهمة في القاهرة وفي (سنة ٦٩٦هـ - ١٢٩٦م) أعاد عمارته الملك المنصور، ورتب فيه دروساً لألقاء الفقه على المذاهب الأربعة، ودرساً يلتقي فيه تفسير القرآن الكريم، ودرساً لحديث النبي ﷺ ودرساً للطب و... وعمل بجانبه مكتباً لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله ﷻ. وأوقف لهذا أوقافاً كثيرة، كانت تدر على الجامع في القرن الثامن الهجري عشرين ألف دينار(١).

ونجد مثل هذا في جامع الحاكم بأمر الله الذي أسسه (سنة ٣٨٠هـ - ٩٩٠م) فإن الحركة العلمية لم تنقطع فيه، وفي (سنة ٧٠٢هـ - ١٣٠٢م) أعاد بناءه بيبرس الجاشنكير ورتب فيه دروساً أربعة لإقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة، ودرساً لإقراء الحديث النبوي، ودرساً في النحو، ودرساً للقراءات السبع، وشيخاً لإفادة العلوم وشيخاً للميعاد. وعمل فيه خزانة كتب جليلة، وجعل فيه عدة مقرئين لتلقين القرآن الكريم، ومعلماً يقرئ أيتام المسلمين كتاب الله ﷻ، وأجرى على جميع من قدرّه فيه معالم دارّه(٢).

وكذا جامع عمرو بن العاص: فقد كان به في القرن السابع الهجري عدة زوايا في كل زاوية شيخ أو أكثر يدرس ما قرر له من العلوم أو الفقه فضلاً عن هذا فقد كان به (سنة ٧٤٩هـ- ١٣٤٨م) بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه. ولها الأوقاف الكثيرة المستمرة(٣).

(١) خطط المقريزي (٤: ٣٦-٤٠) حسن المحاضرة (٢: ١٥٢).
(٢) خطط المقريزي (٤: ٥٥، ٦٠) حسن المحاضرة (٢: ١٥٥).
(٣) خطط المقريزي (٤: ٢٠، ٢١ حسن المحاضرة (٢: ١٥٢).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

هذا ما كان في بعض الجوامع بإحدى حواضر الإسلام. فكان كل جامع عبارة عن جامعة يدرس فيه مختلف العلوم والمعارف. وفيه الكتب والشيوخ الذين يؤخذ عنهم. والنفقة في هذا كله مما أوقفه له أهل البر والإحسان من عباد الله الصالحين.

أما المدارس فكانت كبيرة مختلفة المناهج، يدرس بها عدة علوم، ويكون بها عدة علماء كل منهم يدرس ما هو مختص به. وقلما نجد ملكاً إلّا ويخلد ذكره بمدرسة جليلة يتولى إنشاءها وتأثيثها ويجعل فيها خزانة كتب ويوقف لها ما يصرف على إدامتها، والنفقة على من يعلم ويتعلم فيها.

بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل (سنة ٦٤١هـ-١٢٤٣م) المدرسة الصالحية، ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة - وهو أول من عمل دروساً أربعة في مكان واحد - وأوقف لها أوقافاً كثيرة على مدرسين أربعة عند كل مدرس معيدان، وعدة طلبة وما يحتاج إليه من أئمة ومؤذنين وقومة[١].

وبنى الملك الظاهر بيبرس البندقداري (٦٦٠-٦٦٢هـ) (١٢٦١-١٢٦٣م) المدرسة الظاهرية وهي من أجل مدراس القاهرة، وكان فيها مدرسون للطوائف الأربعة، ومدرس لعلم الحديث، ومدرس للقراءات، وخزانة كتب تشمل على أمهات الكتب في سائر العلوم.

وبنى بجانبها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، وأجرى لهم الجرايات والكسوة وأوقف لها أوقافاً كثيرة[٢].

(١) خطط المقريزي (٤: ٢٠٩، ٢١١) حسن المحاضرة (٢: ١٥٢).

(٢) خطط المقريزي (٤: ٢١٦-٢١٨).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وأنشأ الملك المنصور قلاوون الالفي الصالحي (٦٧٨-٦٨٩هـ) (١٢٧٩-١٢٩٠م) مدرسته التي عرفت باسم المدرسة المنصورية ورتب فيها الترتيبات التالية:

١ • دروساً أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة.

٢ • درساً للطب يدرسه طبيب حاذق.

٣ • درساً للحديث النبوي الشريف يدرسه محدث عال الإسناد.

٤ • درساً لتفسير القرآن الكريم.

٥ • وجعل بها خزانة كتب جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم - وأوقف لها أوقافاً جليلة[١].

وكانت مدرسة السلطان حسن التي شرع في بنائها (سنة ٧٥٨هـ-١٣٥٦م) من مدارس العالم المشهورة حتى قالوا عنها «لا يعرف ببلد من بلاد الإسلام ولا معبد من معابد المسلمين يحاكي هذه المدرسة في كبرها وحسن هندامها. دامت العمارة فيها ثلاث سنين متتالية والمصروف عليها كل يوم عشرون ألف درهم».

وبناها بناية حسنة بما جمعه لها من الأحجار والرخام والأخشاب، وجعل شبابيكها من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبوابها مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت انتهى منها (سنة ٨١١هـ-٣١١م).

وجعل فيها خزانة كتب كبيرة جمع فيها من المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم، ويذكر المقريزي أن كتبها - عدا المصاحف - كانت عشرة أحمال.

(١) خطط المقريزي (٤: ٢١٧-٢٢١).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

ورتب فيها أربعة مدرسين للفقه - لكل مذهب مدرس، يدرس عليه عدة طلبة ومدرس للتفسير، ومدرس للحديث، وشيخ للتصوف.

وأجرى لكل طالب ثلاثة أرطال خبزاً في اليوم، وثلاثون درهما في الشهر ولكل مدرس ثلثمائة درهم في الشهر.

ورتب في المدرسة إماماً وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين، وكان يحضرها عصر كل يوم مائة وبضعة عشر رجلاً يقرأون القرآن، ويعلم فيها أيتام المسلمين كتاب الله ﷻ ويجري عليهم الأرزاق في كل يوم. ومن المال في كل شهر الخ[١].

١٠

خدمات أهل الشام

أما الخدمات التي كان يقدمها أهل الشام لطلاب العلم فهي لا تقل عما كانت عليه في مصر، فقد كان أهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والمدارس والزوايا ودور الحديث[٢].

ونجد الحلقات العلمية الكثيرة منتشرة في مساجدها يقصدها الطلاب من مختلف الجهات للأخذ عن شيوخها الذين رسموا بإفادة الناس، ولتعليم كل من يقصدهم، كما كان الطالب يجد فيها من التسهيلات الكثيرة التي تساعده على التفرغ لطلب العلم.

(١) خطط المقريزي (٤: ٤٠٩، ٤١٠) حسن المحاضرة (٢: ١٦٢).

(٢) رحلة ابن بطوطة (١: ٥٤).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

ففي الجامع الأموي - مثلاً - كانت الحركة العلمية قوية ويذكر ابن جبير «أن بالجامع المكرم عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة» ويذكر أيضاً «أن الإجراء كان يومياً على أزيد من خمسمائة إنسان الذين يقرأون القرآن في الجامع وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم فلا تخلو منه القراءة صباحاً ولا مساءً وفيه حلقات للتدريس للطلبة وللمدرسين فيها إجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيها طلبة المغاربة ولهم إجراء معلوم، ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة، وأغرب ما يحدث أن سارية من سواريه هي بين المقصورتين القديمة والحديثة لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس... وللصبيان أيضاً على قراءتهم جراية معلومة فأهل الجدة من أبنائها ينزهون أبناءهم عن أخذها وسائرهم يأخذونها وهذا من المفاخر الإسلامية»[١].

وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير يأخذ منه المعلم ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم.

هذه الحركة العلمية المباركة بقيت مستمرة في هذا الجامع بفضل ما أرصد له من الأوقاف الجليلة التي كانت تزيد على مر السنين، وبما يضيفه إليها أهل البر والإحسان، وقد شاهد ابن بطوطة هذا في القرن الثامن الهجري عندما زار الشام وقال عنه.

«ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم، والمحدثون يقرأون كتب الحديث على كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقرأون بالأصوات الحسنة صباحاً ومساءً، وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله ﷻ، يستند كل واحد

(١) رحلة ابن جبير (٢١٦، ٢٢٢، ٢٣٣).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

منهم إلى سارية من سواري المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم»[١].

ويذكر أيضاً أن الذين كانوا يأخذون الجراية على قراءة القرآن في هذا الجامع بلغوا ستمائة إنسان يومياً، كان ذلك بفضل أوقافه التي كانت تدر عليه خمسة وعشرين ألف دينار ذهب في كل سنة هذا ما كان عليه من التسهيلات في جامع من جوامع دمشق[٢].

أما مدارس دمشق في القرن السادس الهجري فيذكر ابن جبير أنها كانت عشرون مدرسة أما رباطاتها فكثيرة لا تحصى[٣].

فمنها ما قام به نور الدين زنكي الشهيد (٥٤١-٥٦٩هـ) (١١٥٥-١١٧٣م) فانه بنى مساجد كثيرة ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن وقوفا جليلة.

وبنى بدمشق داراً للحديث - ووقف عليها وقوفا كثيرة، وهو أول من بنى داراً للحديث في الاسلام.

وبنى بدمشق - أيضاً - المدارس الجليلة الحنفية والشافعية فمن ذلك المدرسة النورية التي فيها قبره.

وكذلك بنى بحلب وبحمص وبحماة له مدرستان إحداهما للشافعية والأخرى للحنفية.

وأنه احصيت أوقاف نور الدين فكانت في كل شهر تسعة آلاف دينار صورية[٤].

---

(١) رحلة ابن بطوطة (١: ٦١-٦٣).

(٢) رحلة ابن بطوطة (١: ٦١-٦٣)

(٣) رحلة ابن جبير (٢٣٣).

(٤) مفرج الكروب (١: ٢٨٢-٢٨٤).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

أما ابن بطوطة فقد زارها في القرن الثامن الهجري ويذكر أنهم كانوا يتنافسون في بناء المدارس والربط ودور الحديث ودور القرآن. ويذكر أبو البقاء البدري عن أهل دمشق «وتقرب إلى الله تعالى أهلها ببناء المدارس، رغبة في جوار المجرد الفقير البائس ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام والزيت والحلوى والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام»[١].

ويذكر عن حي الصالحية أنها كانت مشحونة بالزوايا والترب والمدارس حتى أن بها قصبة دون ميل تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل وأن الربوة كان فيها مدارس وعدة مساجد[٢].

وفي (سنة ٨١٨هـ-١٤١٥م) احترق أحد الدروب المجاورة للقلعة كان من أحسن أزقة دمشق كان فيه على صغره سبع مدارس[٣] وهكذا نجد في كل حي من أحياء دمشق مدارس عديدة لها أوقاف كثيرة وهي مفتوحة لمن أراد التعلم.

وفي كل شرف منها عدة من المدارس والمساجد، ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف[٤].

وكانت مدرسة الخاتونية - إحدى مدارس دمشق من أعاجيب الدهر بحسن بنائها وجمال هندستها يمر بصحتها نهر بانياس، ونهر القنوات على بابها، ولها شبابيك تطل على المرجة ولها ألواح الرخام الجميلة ودور للطلبة كثيرة فيها ويقول عنها: فيجلس الطالب

(١) محاسن الشام: ٧٠.

(٢)(٣)محاسن الشام: ٣٢٠، ٧٠، ٧١، ٧٧ واللمعات البرقية: ٣٢.

(٤) محاسن الشام: ٣٢٠، ٧٠، ٧١، ٧٧ واللمعات البرقية: ٣٢.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

في شباكها ينظر إلى الماء والخضرة والوجه الحسن فكيف لا ينبعث إلى طلب العلم ويتحرك من فهمه ما سكن[١].

وقد أحصى النعيمي ما كان في دمشق من المدارس فإذا هي: (٧) دور للقرآن و(١٩) داراً للحديث و(٥٩) مدرسة للشافعية و(٤٥) للحنفية و(١١) مدرسة للحنابلة و(٣) مدارس طب سوى الخوانك والزوايا والترب التي في أكثرها مدرسة لتعليم العلوم المختلفة. حتى أن بعضهم اهتم بفتح المعاهد لتعليم الأميين الذين حرموا التعليم في صغرهم فلم يعدموا من يعلمهم في كبرهم. فقد كان في صالحية دمشق مدرسة تعرف بمدرسة (ابن عمر) موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول، وتجري لهم ولمن بعلمهم كفايتهم من المأكل والملابس[٢].

وبداخل البلد أيضاً مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجا.

١١

عدد المدارس والمعاهد ودور العلم

وكان في الموصل عدة مدارس رغماً عن التدريس في جوامعها ومساجدها وبلغ عدد معاهدها في القرن السابع الهجري: (٢٨) مدرسة، و(١٨) داراً للحديث، و(٢٧) خانقاه (زاوية) وغير ذلك من الكتاتيب والمساجد التي كان يدرس بها[٣].

(١) محاسن الشام: ٣٢٠، ٧٠، ٧١، ٧٧ واللمعات البرقية: ٣٢.

(٢) رحلة ابن بطوطة (١: ٦١).

(٣) مرآة الزمان - مخطوط.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

ووصف ابن جبير بعض مدارسها التي كانت على دجلة فقال: «وفي المدينة مدارس للعلم، نحو الست أو ازيد على دجلة فتلوح كأنها القصور المشرفة»[١].

وكان عدد معاهدها في القرن الثامن عشر (١٤) مدرسة و(١٠) زوايا[٢].

وكان فيها - في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: (٤٨) مدرسة لتدريس العلوم المختلفة، وأربعة دور للقرآن، ودار حديث واحدة، وفي أكثر هذه المؤسسات خزانة كتب نفيسة تحوي مخطوطات نادرة وهي مفتوحة لمن أراد المطالعة أو النسخ أو القراءة فيها[٣]- وغرف لسكنى الطلاب الذين يدرسون في هذه المؤسسات ولهم جرايات مستمرة.

١٢

المدارس ودور العلم في بغداد

أما في بغداد فقد ذكر ابن جبير عنها: «وأما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير، فضلاً عن الإحصاء، والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلّا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية، وهي التي اتبناها نظام الملك وجددت سنة أربع وخمسمائة. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات

(١) رحلة ابن جبير (ص: ١٨٩).
(٢) منهل الأولياء - مخطوط.
(٣) مخطوطات الموصل - للدكتور داؤد الجلبي.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

محبسة تتصير إلى الفقهاء والمدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم. ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد، فرحم الله واضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح»[١].

أما النظامية: فقد أنفق نظام الملك على بنائها مئتي ألف دينار من ماله. وكتب عليها اسمه، وبنى حولها أسواقاً تكون حبساً عليها، وابتاع لها ضياعاً وحمامات ومخازن ودكاكين أوقافاً عليها، وكان يصرف عليها في كل عام لنفقات الأساتذة والتلاميذ خمسة عشر ألف دينار، وكان فيها ستة آلاف تلميذ، يتلقون فيها العلوم الدينية والفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف واللغة والأدب وغير ذلك[٢].

والمدرسة المستنصرية هي من مدارس بغداد التي أنشئت في القرن السابع الهجري أنشأها الخليفة المستنصر بالله العباسي (٥٨٨-٦٢٣هـ) (١١٩٢-١٢٢٦م) فقد كانت مناهج الدراسة فيها أشبه ما تكون بمناهج الجامعة في هذا اليوم. كان فيها مختلف الدراسات في أنواع العلوم والآداب المختلفة.

وبناية المدرسة المذكورة لم تزل باقية إلى اليوم، وهي تدلنا على سعة المدرسة، وما كانت تحويه من المرافق المختلفة للتدريس، ولسكنى الطلبة، وللمخازن والصيدلية، ومحل الطبخ، والحمام، وغير ذلك. ولا يقل عدد غرفها في الوقت الحاضر عن مائة غرفة بين

(١) رحلة ابن جبير (ص: ١٨٣).

(٢) ص: ١٤٧-١٤٨: مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الأول المجلد الثاني من مقال للأستاذ سعيد نفيس عن المدرسة النظامية في بغداد.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

كبيرة وصغيرة ومتوسطة[١].

أما أوقاف المدرسة فقد أوقف لها الخليفة المستنصر الدور والخانات والقرى والأراضي، يقول الذهبي أن قيمة ما أوقف لها يساوي مليون دينار، وبلغ ريع ما أوقف لها نيفاً وسبعين ألف مثقال من الذهب[٢]، ويذكر ابن كثير «أن المستنصر أوقف عليها أوقافاً عظيمة، حتى قيل أن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها»[٣] وعلى كل فإن النصوص المذكورة وأن تفاوت في تقديرها، فإنها مجمعة على أن أوقافها كانت جسيمة.

- **تقسيمات المدرسة**

كانت المدرسة تشمل على معاهد مختلفة في الدراسات ومما وقفنا عليها هي:

١ دور الفقه

في المدرسة أربعة أواوين كل ايوان لمذهب، من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأن يجري لكل واحد منهم في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخ مما يطبخ في مطبخها، وفي كل شهر ديناران غير الحلوى والفاكهة والصابون والزيت.

ولكل طائفة مدرسة وأربعة معيدين، وأن يكون لكل مدرس في كل يوم عشرون رطلاً من الخبز، وخمسة أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها، وفي كل شهر اثنا عشر ديناراً.

---

(١) المدرسة المستنصرية : للأستاذ كوركيس عواد بحث قيم عنها نشره في مجلة سومر.

(٢) دول الإسلام (٢: ١٠٣).

(٣) البداية والنهاية (١٣: ١٥٩).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وأن يكون لكل معيد في كل يوم سبعة أرطال خبزاً، وغرفان طبيخاً، وفي كل شهر ثلاثة دنانير.

٢ دار القرآن

يكون فيها شيخ يلقن القرآن، وثلاثون صبياً أيتاماً، ومعيد يحفظ الثلاثين.

يكون للشيخ كل يوم سبعة أرطال خبزاً، وغرفان طبيخاً، وفي الشهر ثلاثة دنانير.

وللمعيد كل يوم أربعة أرطال خبزاً، وغرفاً طبيخاً، وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطاً. وللصبيان: كل صبي في كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً، وغرفاً طبيخاً، وفي كل شهر ثلاثة عشر قيراطاً وحبة.

٣ دار الحديث

ويكون بها شيخ عالي الإسناد وقارئان وعشرة أنفس، يشتغلون بعلم الحديث النبوي.

ويكون للشيخ المسمع في كل يوم ستة أرطال خبزاً ورطلان لحماً، وفي كل شهر ثلاثة دنانير.

وللمشتغلين لكل واحد منهم في كل يوم أربعة أرطال خبزاً، وغرفاً طبيخاً، وفي كل شهر ديناران وعشرة قراريط.

وللقارئ في كل يوم أربعة أرطال خبزاً - وغرفاً طبيخاً، وكل شهر ثلاثة دنانير.

وللطلبة أسوة الأيتام الذين يتلقون القرآن في الخبز والغرف والمشاهرة.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

٤ تدريس النحو

وأن يكون بها نحوي يشتغل بعلم العربية يكون له في كل يوم ستة أرطال خبزاً، ورطلان لحماً، وفي كل شهر ثلاثة دنانير.

٥ معهد الطب

وكان للطبيب إيوان، وله فيه صفة يجلس عليها، وعنده عشرة أنفس يشتغلون عليه بعلم الطب، كما كان يعالج المرضى ممن يكون في المستنصرية، ولهم من الجراية في الخبز والطبيخ والمشاهرة ما للمشتغلين بعلم الحديث.

وفي المدرسة طبيب يعالج المرضى ممن في المدرسة وتصرف إليهم الأدوية والعلاج من صيدلية المدرسة.

وكان الطبيب يتردد إلى مرضاها في بكرة كل يوم يتفقدهم.

٦ الحساب والفرائض

وشرط أن يكون فيها من يشتغل بالحساب والفرائض وفرض لهم من الجراية ما يكفيهم.

٧ هنالك فروع أخرى كانت تدرس في هذه المدرسة الكبيرة

كالمساحات ومنافع الحيوان، وحفظ قوام الصحة، وتقويم الأبدان وغيرها.

وفي المدرسة صيدلية فيها أنواع المعاجين والأدوية وهي تقدم للمرضى الذين يكونون في المدرسة.

وفيها المخزن الذي فيه ما تحتاجه المدرسة من الشمع والنفط

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

والسكر والثياب والصابون والفرش والمصابيح ومؤونة الطعام، وفيه كل ما يحتاج إليه من أنواع ما يطبخ من الأطعمة.

٨ خزانة الكتب

نقل إليها ما حمله مائة وستون حمالاً من مختلف العلوم الدينية والأدبية والسير والأخبار والطب، ورتبت أحسن ترتيب، مفصلاً لفنونها ليسهل تناولها، فيقال أن عدد كتبها كان ثمانين ألف مجلد.

وكان لها الخزانة والمشرفون والمناولون وغيرهم.

ويكون بها امام يصلي بهم وقارئ للسبعة، وداع يدعو، سوى ما كان فيها من المشرفين والنظار والكتبة ومعمارية وفراشون وبوابون وحمامي[١].

وفي المدرسة حمام خاص بالفقهاء ولمن ينتسب إلى المدرسة.

وفيها مطبخ يطبخ فيه لمن يكون في المدرسة.

١٣

فتنة نيسابور

وكثرت المدارس بالبلاد الإسلامية حتى كانت تعد بالعشرات في بعضها. فما كان في نيسابور ما ذكر ابن الاثير في حوادث (سنة ٥٥٦هـ-١١٦٠م) عند كلامه عن فتنة بنيسابور «ومن جملة ما خرب مسجد عقيل، وكان مجمعاً لأهل العلم وفيه خزائن الكتب

(١) ابن الاثير (١١: ١١٠).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

الموقوفة، وكان من أعظم منافع نيسابور. وخرب أيضاً من مدارس الحنفية ثمان مدارس، ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة، واحرق خمس خزائن للكتب، ونهب سبع خزائن كتب، وبيعت بأبخس الأثمان، هذا ما أمكن إحصاؤه سوى ما لم يذكر» إذاً فكم كان في هذه المدينة الجميلة من مدارس العلم وخزائن الكتب والمساجد التي يدرس فيها؟

كان هذا التنظيم الدقيق للخدمات التي تقدم للمدرسين وللطلاب في المدرسة الإسلامية قبل ثمانية قرون – وهذه الأمور تعد من مفاخر المسلمين الذين كانوا يحرصون على نشر العلوم والمعارف بين سائر الطبقات – وكان من أول ما يفكر به ملوكهم وأمراؤهم وأصحاب البر والإحسان هو بناء المعاهد العلمية المختلفة، والمكتبات العامة التي تسهل أمر المطالعة للناس على اختلافهم، ورصد الأوقاف الكثيرة التي تدر على هذه المعاهد.

١٤

الخدمات الاجتماعية والتربية الاخلاقية

فالمعاهد العلمية كانت مؤسسات اجتماعية كذلك. فهي لمعونة الفقراء والمعوزين، وإيواء الغرباء الطارئين على البلد، وتربية الطلاب والمريدين على الأخلاق الفاضلة والمزايا الحميدة كالإيثار والتضحية وخدمة المجتمع بما لديهم من علم ومال. كانوا يتلقون هذا من المدرس الذي يكون في المدرسة. فيقبل الطلاب والمريدون على التضحية في خدمة المجتمع، فيعلمون الجاهل، ويرشدون الضال،

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

ويخففون بؤس المريض، ويأوون الغريب، وهكذا كانت معاهد العلم في الإسلام معاهد علم وفضيلة(١).

وكان بعضهم يهتم ببناء هذه المعاهد في المحلات النائية والأماكن المنقطعة لكي يجد فيها المسافر من وسائل الراحة والأمن وما يحتاجه من طعام ومنام. وذكر ابن بطوطة عن بلاد اللوران ملكها السلطان أحمد بنى في بلاده أربعمائة وستين زاوية، منها بمدينة ابذج أربع وأربعون، وأنه قسم خراج بلاده أثلاثا: فالثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس، والثلث منه لمرتب العساكر، والثلث لنفقته ونفقة عياله وعبيده وخدامه(٢).

وقال عن التسهيلات التي كانت في هذه المدارس «في كل منزل من منازلها زاوية يسمونها المدرسة فإذا رحل المسافر إلى مدرسة منها أتى بما يكفيه من الطعام والعلف لدابته سواء طلب أو لم يطلبه»، فإن عادتهم أن يأتي خادم المدرسة فيعد من نزل فيها من الناس ويعطي كل واحد منهم قرصين من الخبز ولحماً وحلوى، وكل ذلك من أوقاف السلطان أتابك أحمد. وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرة أيام في جبال شامخة وفي كل يوم ننزل بمدرسة فيها الطعام، فمنها ما هو في العمارة، ومنها ما لا عمارة حوله، ولكن يجلب إليها جميع ما تحتاج إليه(٣).

فنجد أن المدارس كانت فوق هذا محلاً لنزول الضيوف وأراحتهم.

---

(١) انظر المستنصرية لكوركيس عواد.

(١)(٢)رحلة ابن بطوطة (١: ١٢١، ١٤١).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

وأن هذه الخدمات لم تحرم منها أقصى البلاد الإسلامية، فقد كانت ركناً هاماً من أركان الحضارة وعماد التقدم، وأقرب العبادات إلى الله – حتى مدينة مقدشو التي هي في أقصى البلاد فقد كان بها داراً للطلبة. وذكر ابن بطوطة انه لما وصل مقدشو انزله القاضي «بدار الطلبة» وهي دار معدة لضيافة الطلبة، وهي مفروشة مرتبة بما تحتاج إليه[١].

هذا ما كان يقدمه المسلمون من الخدمات الاجتماعية قبل قرون وكفاهم فخراً أنهم كانوا في طليعة الأمم في تيسير العلوم والمعارف يوم كان غيرهم يتخبطون في دياجير الظلام.

(٣) رحلة ابن بطوطة (١ : ١٦١).

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

مصادر البحث

- **آدم متز**
  - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري مصر سنة ١٣٥٦هـ.
- **ابن الأثير (عز الدين)**
  - الكامل في التاريخ – مصر سنة ١٢٥٠هـ.
- **ابن الجوزي (عبد الرحمن)**
  - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – حيدر أباد.
- **ابن العماد (عبد الحي)**
  - شذرات الذهب في أخبار من ذهب – مصر سنة ١٣٥٠هـ.
- **ابن الفوطي (عبد الرزاق)**
  - الحوادث الجامعة – بغداد سنة ١٣٥١هـ.
- **ابن بطوطة (محمد)**
  - تحفة النظار – مصر سنة ١٣٤٦هـ.
- **ابن جبير (محمد)**
  - رحلة ابن جبير مصر سنة ١٣٥٦هـ.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

- **ابن حجر العسقلاني (أحمد)**
  - الإصابة في تمييز الصحابة مصر ١٣٢٥هـ.
- **ابن حزم (علي)**
  - طوق الحمامة – الشام ١٣٤٩.
- **ابن خلكان (أحمد)**
  - وفيات الأعيان – مصر سنة ١٣١٠هـ.
- **ابن سلام (أبو عبيد القاسم)**
  - الأموال – القاهرة سنة ١٣٦٤هـ.
- **ابن طولون (شمس الدين محمد)**
  - اللمعات البرقية في النكات التاريخية – دمشق سنة ١٣٤٨هـ.
- **ابن قتيبة (الدينوري)**
  - الإمامة والسياسة – مصر.
- **ابن كثير (إسماعيل)**
  - البداية والنهاية – مصر.
- **ابن واصل (جمال الدين محمد)**
  - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب – مصر سنة ١٩٥٣م.
- **أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن)**
  - الروضتين في اخبار الدولتين – مصر سنة ١٢٨٧هـ.
- **أبو نعيم (أحمد الأصبهاني)**
  - حلية الأولياء – مصر سنة ١٣٥١هـ.
- **الأصفهاني (عماد الدين محمد)**
  - تواريخ آل سلجوق – مصر سنة ١٣١٨هـ.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

- **البتنوني (محمد)**
  - رحلة الأندلس - مصر سنة ١٩٢٧م.
- **البدري (أبو البقاء عبد الله)**
  - نزهة الانمام في محاسن الشام - مصر سنة ١٣٤١هـ.
- **البلاذري (أحمد)**
  - فتوح البلدان - مصر.
- **الجلبي (الدكتور داؤد)**
  - مخطوطات الموصل - بغداد سنة ١٣٤٦هـ.
- **الجهشياري (محمد ابن عبدوس)**
  - الوزراء والكتاب - طبعة الصاوي.
- **الخطيب البغدادي (أحمد بن علي)**
  - تاريخ بغداد - مصر سنة ١٣٤٩هـ.
- **الديوه جي (سعيد)**
  - بيت الحكمة - الموصل سنة ١٩٥٤م.
- **الذهبي (شمس الدين)**
  - تذكرة الحفاظ - حيدر آباد.
- **الذهبي (شمس الدين)**
  - مختصر تاريخ دول الإسلام - حيدر آباد.
- **سبط ابن الجوزي (يوسف بن عبد الرحمن)**
  - مرآة الزمان - (مخطوط).
- **السبكي (عبد الوهاب)**
  - طبقات الشافعية - مصر سنة ١٣٢٤هـ.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

- **السيوطي (جلال الدين)**
  - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة – مصر.
- **طرازي (الفيكنت فليب)**
  - خزائن الكتب القديمة في الخانقين – بيروت.
- **العمري (محمد أمين)**
  - منهل الأولياء (مخطوط)
- **عواد (كوركيس)**
  - **المدرسة المستنصرية**: نشرت في السنة الأولى من سومر.
  - خزائن الكتب القديمة في العراق – بغداد سنة ١٩٣٨م.
- **المقريزي (أحمد)**
  - المواعظ والاعتبار، المعروف بالخطط – مصر سنة ١٣٢٦هـ.
- **نفيس (سعيد)**
  - **المدرسة النظامية**: نشر في العدد الأول من المجلد الثاني من مجلة المجمع العراقي.
- **ياقوت الرومي الحموي**
  - معجم الأدباء – دار المأمون.
  - معجم البلدان – مصر سنة ١٣٢٣هـ.

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

فهرس المحتويات

قال عليه الصلاة والسلام: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ٥

١: فرض العلم ٦

٢: الدراسة العالية ٩

٣: دور الحكمة ١٠

٤: دور العلم ١١

٥: المكتبات العامة ١٢

٦: تقدمة الخلفاء والأمراء والموسرون ١٣

٧: المرأة والكتاب ١٥

٨: التأمين الاجتماعي ١٧

٩: الخدمات الاجتماعية في مصر ١٩

١٠: خدمات أهل الشام ٢٥

١١: عدد المدارس والمعاهد ودور العلم ٢٩

d:/Therese/arabia 2012/Al Khadamat Al Ijtimayia (2012)/Al Khadamat Al Ijtimayianew.3d - 15/4/2008

١٢: المدارس ودور العلم في بغداد ٣٠

تقسيمات المدرسة: ٣٢

١ دور الفقه ٣٢

٢ دار القرآن ٣٣

٣ دار الحديث ٣٣

٤ تدريس النحو ٣٤

٥ معهد الطب ٣٤

٦ الحساب والفرائض ٣٤

٧ هنالك فروع أخرى كانت تدرس في هذه المدرسة الكبيرة ٣٤

٨ خزانة الكتب ٣٥

١٣: فتنة نيسابور ٣٥

١٤: الخدمات الاجتماعية والتربية الاخلاقية ٣٦

مصادر البحث ٣٩